دراسة معاصرة للجد، والفتح، والخیال فی نتاجات ناصر خسرو

تاریخ الوصول: ۱۳۹۰/۷/۲۱هـ. ش
تاریخ القبول: ۱۳۹۰/۸/۲۶هـ. ش

فاطمة حیدری*
زرین‌تاج پرهیزگار**

الملخص

جعل ناصر خسرو قبادیانی الشاعر، والکاتب، والفیلسوف فی القرن الخامس الهجری آثاره فی النظم والنثر، منهجا للتعالیم الدینیة، وتمتاز أشعاره بروح الوحی السماوی، وهی مفعمة بالحکمة والوعظ والزهد، کما أن آثار الشاعر المنثورة جاءت فی بیان المسائل الفلسفیة والمسائل الدینیة الدقیقة، وتأویل الأحکام والعبادات وتفسیرها. والملفت للنظر فی دیوان ناصر خسرو أنه لجأ فی أشعاره إلی المصطلحات الخاصة حیث لا یمکن فهمها ودرک معناها إلا بعد الإلمام بآثاره المنثورة. ومن خلال هذا البحث نتطرق إلی مصطلحات الجد، والفتح، والخیال.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الکلمات الدلیلیة: الجد، الفتح، الخیال، دراسة معاصرة، الشعر الفارسی، الأدب الفارسی.

*. أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامیة فی کرج، ایران.
**. أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامیة فی کرج، ایران.
Fatemeh.heidari@kiau.ac.ir

المقدمة

الفرقة الإسماعيلية هى إحدى الفرق الشيعية، اتخذ أصحابها إلى جانب ترويج أفكارهم مكتبا فلسفيا؛ يعتبر أبوحاتم الرازى من دعاته وحميد الدين الكرمانى حجة العراقيين أحد مؤسسيه. (سجادى، ١٣٧٩ش: مقدمه٩) ومن علماء هذه الفرقة أيضا، محمد بن أحمد نسفى، وأبويعقوب السجستانى اللذين لجئا إلى الفلسفة فى الإلهيات دون أن ينخرطا فى سلك الفلاسفة، مما جعل علم الكلام والإلهيات لدى الفرقة الإسماعيلية روحانيا بمعنى الكلمة وبقى يمتاز بهذه السمة. (دفترى، ١٣٨١ش: ١٩) وبادر ناصر خسرو (٣٩٤-٤٨١ق) فى بداية عهد السلاجقة، إلى ترويج الفكرة الإسماعيلية، وبما أنه كان ملما بالأفكار الدينية والفلسفية التى كان يحملها كبار علماء الإسماعيلية ودعاتهم ممن سبقوه، كلفه المستنصر بالله، خليفة الفاطميين الدعوة إلى هذه الأفكار فى جزيرة خراسان كمبلّغ. وتعتبر خراسان إحدى الجزر الإثنتى عشرة التى اختارتها الفرقة الإسماعيلية لنشر أفكارها فيها. (فروزانفر، ١٣: ١٥٦) وكان ناصر خسرو يرى نفسه مكلفا بتعليم بواطن الأمور من الأحكام والعبادات وفق التعاليم التى أخذها عن الدين الإسلامى، لهذا نراه بعد أن لقب بالحجة، يقوم بمهمته فى نشر التعاليم عبر أشعاره وآثاره فى النثر. وتمتاز آثار الشاعر ناصر خسرو سواء المنظومة منها والمنثورة، بالمصطلحات الفلسفية والحكمية. ويبدو من آثاره وآثار بقية العلماء أمثال أبى يعقوب السجستانى، ومؤيد الدين الشيرازى، وأبى حاتم الرازى، وحميد الدين كرمانى، أنهم أضفوا إلى عقائدهم طابعا فلسفيا عبر اللجوء إلى باطن الأحكام وتأويل ظواهره. (سجادى، ١٣٧٩ش: ١٤٢)

وكانت الفكرة الفلسفية لدى أبى يعقوب السجستانى استمرارا لفكرة أستاذه محمد نسفى، إلى أن وصل الدور إلى حميد الدين كرمانى الذى ظهر بعد السجستانى بعدة عقود وأسس نظاما آخر من التفكير الفلسفى، منشأه التشيع الإسماعيلى والفلسفة اليونانية. ولقب السجستانى بحجة العراقيين لدعوته إلى الإسماعيلية فى النواحى المركزية والغربية من إيران والعراق. (رجبى، ١٣٨١ش: ٤٠٥) وقد اتبع ناصر خسرو كأسلافه فلسفة من النوع الأفلاطونى الحديث. يظهر ناصر خسرو فى أثريه «زاد المسافرين» و«جامع الحكمتين»

فیلسوفا وفی «وجه الدین» و»خوان الإخوان» إسماعیلیا. (محقق، ۱۳۶۳ش: ۳۵۹)

ویمیز الإسماعیلیون بین ظاهر الآیات والأحادیث والأحکام الدینیة وبین باطنها، ویفصلون بین المعنی اللفظی والظاهری للشریعة الإسلامیة وبین معناها الباطنیة وحقیقتها الروحانیة، ویحصلون علی المعنی الباطنی من خلال التأویل والاستنباط الباطنی من الظاهر، لهذا أطلق علیهم اسم «الباطنیة». وقد وضع الإسماعیلیون التأمل الباطنی علی أساس الفلسفة حتی اعتقدوا أن النصوص الدینیة المقدسة، هی رموز وإشارات تدل علی حقائق مخفیة وأسرار مکنونة، کما أنهم یعتقدون أن الشریعة بدون تأویل، لاتجد مکانتها الحقیقیة وتکون کجسد بلا روح ومن لم یستوعب باطن الشریعة ینزعج منه النبی: «کما أن الجسد بلا روح لا قیمة لها، فإن الشریعة لا تعنی شیئا دون تأویل وتفسیر... کلام الله تعالی وسنة رسول الله إنما یفسر بباطن الکتاب والسنة، ومن لم یعرف باطنه لیس من الدین فی شیء، والنبی لا یرضی عنه.» (ناصر خسرو، ۱۳۸۴ش: ۶۷-۶۶)

ومن هذا المنطلق کان الاهتمام بالمعانی الباطنیة للآیات وأحکام الکتاب والسنة أی الشریعة، ذا أهمیة بالغة لدیهم بحیث لایمکن الوصول إلی الحقیقة إلا بالشریعة.

واستخدم ناصر خسرو فی الأمور الظاهریة للدین، منها ظواهر الأحکام والطقوس الظاهریة للشریعة، معنی آخر واستخدم فی آثاره إضافة إلی تأویل الکتاب والسنة، مصطلحات خاصة بمذهب الإسماعیلیة ومراتب الدعوة کالناطق، الأساس، الإمام، الحجة، الداعی و... ولکل من هذه المصطلحات معناها الخاص ووظائفها الخاصة.

پرتال جامع علوم انسانی

الجد، والفتح والخیال

تجد بین أشعار ناصر خسرو مصطلحات کـ''الجد''، و''الفتح'' و''الخیال، ویبدو أن ما یتطلبه الشعر من القیود وإیجاز فی البیان منع من أن یترک المجال واسعا لتفسیر تلک المصطلحات، ولکن بالنسبة إلی النصوص المنثورة بما أنها بحکم عدم تقیدها بالوزن والقافیة وشکلها لایکون للإیجاز سبیل فیها والحکیم أو الکاتب الذی یکتب أثره فی سبیل التعلیم یقوم بالتأویل وفق التفکر الحکمی والدینی علی طریقة أسلافه.ویبدو أن هذه المصطلحات مقتبسة من ألفاظ القرآن الکریم، وإن کان ناصر خسرو لم یشر فی

آثاره المنثورة نصا والمنظومة شعرا إلى الآيات القرآنية الكريمة، ما يبين أنه كان تابعا لطريقة الدعاة السابقين فى استخدام المصطلحات حيث وضعها فى سلسلة من المراتب للاستنباط والتأويلات الباطنية واستخدمها فى مفاهيم خاصة.

جاءت لفظة جد بمعنى الحظ. (أقرب الموارد)

وقد وردت هذه اللفظة فى مثنوى معنوى:

- كل من كد وجهد، يظهر له كنز، ومن جد وسعى حالفه الحظ.[1]

(مولوى، ١٣٦٥ش: الدفتر الخامس، بيت رقم ٢٠٤٧)

يقول القرآن الكريم حول «الجد»: ﴿إنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ (الجن: ٣) وفى قاموس القرآن شرح تحت الآية، يقول: «القصد من الجد، العظمة والمنزلة.» وفى الخطبة ١٨٩ من نهج البلاغة جاء: «الحمد لله ... والغالب جنده والمتعالى جده» والقصد منه العظمة. (قرشى، ١٣٨١ش: ج١: ٢١)

ويرى أبويعقوب السجستانى الذى كان يقوم بالدعوة إلى الإسماعيلية فى القرن الرابع الهجرى فى كتابه "الافتخار" أن سعادة الإنسان وشقاوته يرجع إلى "الجد"، ويبدو أن "الجد" هو حظ الإنسان ونصيبه ويقبل عليه إقبال وينال منه حظوة من يمتلك نفسا طاهرة. (أبويعقوب السسجستانى، ١٩٨٠ش: ٤٣-٤٦)

جاءت لفظة "فتح" فى عدة آيات من القرآن الكريم فى الآية ١١٨ من سورة الشعراء والآيات ١ و١٨ و٢٧ من سورة الفتح.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنا فتحنا لک فتحا مبينا﴾ (الفتح: ١)، الفتح تعنى فى اللغة "فک" أو"تفكيک". (قرشى، ١٣٨١ش: ج٥: ١٤٥) وفى المصطلح تعنى هذه اللفظة، الفاتح النهائى للدين. (فرمانيان، ١٣٨١ش: ٥٢)

رأت مريم (ع) جبرائيل على شكل إنسان بقامته. ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ (مريم: ١٧) وبهذا يكون الملک الإلهى فى مرتبة "الخيال" وسيطا للوحى. (أبويعقوب السجستانى، ١٩٨٠م: ٤١٦)

١. هر كه رنجى برد گنجى شد پديد هر كه جدى كرد در جدى رسيد

الجد، الفتح والخيال فی الشريعة

فی موضوعات الشريعة، تقع لفظة الجد مقابل جبرائيل، والفتح مقابل ميكائيل، والخيال مقابل إسرافيل، الملاک الثلاث المقربين إلی الله. (المصدر نفسه: ۴۳-۴۶) ولقب جبرائيل فی القرآن بالروح الأمين. ﴿نزل به الروح الأمين علی قلبک لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء: ۱۹۴-۱۹۳) وجبرائيل لقب بهذا الاسم لروحه اللطيفة والروحانية ولأنه أمين الله. ويعلم جبرائيل ما يدور فی أفكار الإنسان، لهذا عرف بالناموس، والناموس بمعنی المعرفة ببواطن الأمور. «هو الناموس الأكبر وصاحب سر الوحی.» (مهدوی، ۱۳۴۷ش: ۴۵۲) يقول الداعية الإسماعيلی (المتوفی عام ۳۶۳ق) فی تأويل (فأرسلناها روحنا) أی الروح الأمين المتصل بالأنبياء من قبل الله عز وجل، ويفسر ضمير "ک" المخاطب، ويرجعها إلی النبی (ص). (قاضی نعمان، ۱۹۶۰م: ۳۰۶) يعتقد ناصر خسرو أن جبرائيل أشرف جميع الأرواح واسمه الروح، وهو الروح الأمين، وأمين الله علی هذين العالمين. (ناصر خسرو، ۱۳۸۵ش: ۴۷۳)

يعتقد حميد الدين كرمانی فی كتابه "راحة العقل" بأن هناک ثلاث مراتب للوحی، ويستند فی ذلک إلی الآية ۵۱ من سورة الشوری: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحی بإذنه ما يشاء﴾ يفسر كرمانی الوحی حسب تأويله للآية من ثلاثة جوانب:

۱ـ "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا"

۲ـ "من وراء حجاب"

۳ـ"يرسل رسولا فيوحی بأنه ما يشاء"

المرتبة الأولی، يطلق عليها الوحی الصريح، المرتبة الثانية، وحی من وراء حجاب والمرتبة الثالثة وحی عن طريق الرسل. ويعرف المرتبة الأولی بالجد: «وهو الوحی الذی هو القسم الأول المعروف بالجد.» (كرمانی، ۱۹۵۲م: ۴۱۲) والمرتبة الثانية يفسرها بالفتح. (المصدر نفسه: ۴۱۳) والمرتبة الثالثة يفسرها بالخيال: «القسم الثالث المعروف بالخيال.» (المصدر نفسه: ۴۱۲) ويقول عن الوحی فی قسمه الثالث الذی يتم بواسطة رسل: «أما القسم الثالث الذی هو إرسال رسول يتمثل مثلا بشرا سويا ويعرف بالخيال...

فلا يشارک المؤيد فی رؤية ذلک غيره وهو الروح الأمين المسمی بجبرائيل.» (المصدر نفسه: ۴۱۶)

ويعتقد بأن المرتبة الأولی «وإن كانت غير عالمه وجها آخر من الوحی.» (المصدر نفسه: ۴۰۶) ويقول حول المرتبة الثانية: «وإن كانت ساكنة والمنبئة له، وإن كانت صامتة المعرفة به وإن كانت بها غير عارفة وذلک هو الفتح.» (المصدر نفسه: ۴۱۰) والمرتبة الثالثة هی وحی: «فتراها بالحس وتخاطبها وغيرها لايراها ولا يحس بها وذلک هو الخيال.» (ن.م)

ويقوم تفسير كشف الأسرار بتقسيم مراتب الوحی علی هذا النحو، حيث يری فی المرتبة الأولی أن النبی (ص) تحدث مع الحق سبحانه فی ليلة المعراج بلا وسيط، وفی المرتبة الثانية أن الأنبياء رأوا الملائكة أو سمعوا كلام الله تعالی من وراء حجاب كما أن موسی (ع) سمع كلام الله تعالی دون أن يراه. والمرتبة الثالثة التی كانت تخص أكثر الأنبياء الذين سبقوا النبی محمد (ص) كانت بصورة إلهام أو منام. (رشيد الدين ميبدی، ۱۳۸۲ش، ج۹: ۴۴)

يقول النبی الأكرم (ص) عن تلقيه الوحی: «بينی وبين ربی خمس وسائط، جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح والقلم.» (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ش: ۱۷۰) يقول ناصر خسرو حول هذا الموضوع: قال رسول الله (ص): «بينی وبين ربی خمس وسائط وذكر الأول علی أنه جبرائيل... ثم ذكر ميكائيل... ومن ثم إسرافيل... ومن بعده ذكر اللوح والقلم.» (المصدر نفسه: ۱۷۱)

يعتقد أصحاب الفرقة الإسماعيلية أن تأويل قول النبی هو أنی أخذت الوحی من الخيال والخيال من الجد و... وهذه المرتبة تتوالی إلی خمسة علويين. (سلطانی، ۱۳۸۱ش: ۹۳– ۹۲ نقلا عن أعلام الإسماعيليين، ۴۳، أربعة كتب للإسماعيلية، ۱۱۹ والمجالس المؤيدة، ۶۹)

سأل رسول الله (ص) عن كيفية تلقی الوحی، فأجاب جبرائيل: أنا أتلقی الوحی من جانب ملک أعلی مرتبة منی وهو من ملک أعلی مرتبة... ثم سأل النبی (ص): إذن كيف يتلقی ذلک الملک الوحی؟ أجاب جبرائيل: ينزل الوحی علی قلبه إلقاء وإلهاما.

(المصدر نفسه: ۹۴ نقلا عن قواعد وعقائد آل محمد، ۸۸)

یعتقد الإسماعیلیون فی سلسلة الصوادر أن العقل والنفس من الأصول الأولیة وفی مقابل هذا الرأی، یولد من الأصل الثانی وهو (النفس) بأمر من الأصل الأول (العقل) ثلاثة وجود روحانیة أو ثلاثة حدود (أبعاد) وهی: الجد، والفتح، والخیال، وتساوی ثلاثة ملائکة مقربین وهم؛ إسرافیل، ومیکائیل، وجبرائیل؛ ویلعبون دور الوسیط بین الإنسان والعالم الروحانی والواصل بین الرب والناطق. (خراسانی فدایی، ۱۳۷۳ش: ۱۶)

یعتقد ناصر خسرو أن «کل ما هو موجود فی العالم المحسوس فهو أثر مما یوجد فی العالم العلوی.» (ناصر خسرو، ۱۳۶۳ش: ۱۰۹) ولهذا یقسم مراتب الأنوار الأزلیة السبعة علی النحو التالی منتسبا نور الکواکب السبعة إلی الأنوار الأزلیة: ۱. الإبداع ۲. جوهر العقل ۳. مجموعة العقل (یتشکل من ثلاث مراتب العقل والعاقل والمعقول) ۴. النفس ۵. الجد ۶. الفتح ۷. الخیال، وبرأیه یوجد فی ظاهر الشریعة ثلاثة حدود أو أبعاد متناهیة تساوی إسرافیل، ومیکائیل، وجبرائیل. (ن.م)

أسماء العقل، والنفس، والجد، والفتح، والخیال، «ظاهر الکتاب والشریعة، القلم واللوح وإسرافیل ومیکائیل وجبرائیل.» (المصدر نفسه، ۱۳۰۴ش: ۱۳۸) وفی عالم الدین یساوی الرسول، والوصی، والإمام، والحجة، والداعی. (ن.م)

نظرة إلی آراء أسلاف ناصر خسرو

یعتبر أبوحاتم الرازی المتوفی سنة ۳۲۲ق أشهر دعاة الإسماعیلیة، وکان یقوم بنشاطات دینیة فی دیلم وطبرستان وأصفهان وری. (صفا، ۱۳۷۱ش: ج۱: ۲۴۷) ویتمتع الإله فی کتابه «الإصلاح» من التنزیه المطلق، ویری علة العلل العالمیة فی أمر الإله فی لفظة (کن)، ویتحد مع العقل الأول (السابق أو القلم)، وبعد الإبداع الأول، تصدر منه النفس المطلقة (التالیة أو اللوح)، وتنشأ من النفس الهیولی الأول (العنصر الأول) ومن الهیولا تنشأ الصورة.[۱] (فرمانیان، ۱۳۸۱ش: ۴۵-۴۶)

۱. یری الکاتب أن القدر نفس التقدیر، وهی تساوی النفس المطلقة والقضاء فعله. (فرمانیان، ۱۳۸۱ش: ۴۷) وغیر التحقیق حول القضاء والقدر، فإن آراء الرازی مقبولة من قبل بعض علماء الإسماعیلیة.

ويوافق بعض العلماء على سلسلة الصوادر المتمثلة بالجد، والفتح، والخيال مع اختلاف بسيط حول الأمر. وهذا الترتيب فى الصدور يعتقد به محمد نسفى، وحميد الدين كرمانى أيضا يرى سلسلة الصوادر على هذا النحو وإن انتقد نسفى فى رأيه القائل بأن الله تعالى يكون مبدعا لـ لاشىء (الأمر) وفى نفس الوقت يكون شيئا (العقل). ولم يعثر على أى أثر لـ» محمد بن أحمد نسفى» المتوفى سنة ٣٣١. (صفا، ١٣٧١ش: ج١: ٢٤٧) ولكن بعض آرائه جاء فى كتاب «الإصلاح» لأبى حاتم الرازى. ويعتقد أن الله مبدع الشىء ولاشىء ومنزه فى نفس الوقت. (المصدر نفسه: ٤٧-٤٨)

يعتقد «أبويعقوب السجستانى» الذى كان يدعو إلى الإسماعيلية فى القرن الرابع الهجرى فى كتاب الافتخار أن الله تعالى أكبر من يكون لفظا يوصف به ولا يجوز استخدام الهوية له سبحانه، وإن كنا ننسب له صفات كالبارى، والفرد، والأحد. كما أنه يعتقد أن عالم الوجود كله مخاطب من قبل الله سبحانه وتعالى ونشأ دفعة واحدة، ثم أخذ يتعيّن شيئا فشيئا وتحول إلى الفعل. والأمر الإلهى ليس بالشىء، وإنما الشىء هو العقل الأول (السابق، القلم، القضاء، الكرسى، والشمس والقرآن) الذى خلق بواسطة الأمر. والنفس الشامل هو (العقل الثانى، اللوح، التالى، العرش، القدر والقمر) وتنشأ عن العقل الأول، وبعد السابق والتالى تنشأ ثلاثة وجود روحانية- وهى تمد الناطقين والأئمة- أى الجد، والفتح، والخيال. (أبويعقوب السجستانى، ١٩٨٠م: ٣٨-٤٢)

وأما ناصر خسرو فهو يتبع إلى حد ما رأى السجستانى، لأنه يعتقد أن العقل الأول يفيد النفس المطلقة من أمر البارى تعالى، والنفس المطلقة تفيد «الجد» والجد يفيد «الفتح» والفتح يفيد «الخيال»، وفى سلسلة المراتب يتم الإكساب والإفادة من المراتب العلوية إلى المراتب الدونية، والناطق الذى هو من العالم المحسوس يأخذ تأييده من مرتبة الخيال ويوصله إلى مرتبة الوصى وينقل الوصى إلى مرتبة الإمام. ويعتقد ناصر خسرو أن هؤلاء الأشخاص فى العالم المحسوس يأخذون التأييد من العالم العلوى. (ناصر خسرو، ١٣٧٠ش: ١٧٦)

والتطرق إلى هذا الموضوع يدل على أن بعد مرتبات الإمامة السبعة التى تأخذ تأييدها من العالم العلوى، البقية بحكم خلفاء هؤلاء الثلاثة ومراتب الدعوة كالباب

والحجة و... تكون بحكم الخلفاء والنواب وتوريث الإمامة فی هذا القسم ينقطع.

يعتقد السجستانی أن سعادة الإنسان وشقاوته تعودان إلى «الجد»، والجد هو الحظ والنصيب، وعندما يختار الجد نفسا زكية ويشمله التفاتا منه وحظوة يصبح مهذبا فی عصره، أی مرشدا يهدی الناس إلى رضوان الله تعالى، وحسب عقيدته الجد فی الشريعة مقابل جبرائيل، وعندما يختار الجد أو جبرائيل نفسا زكية، تشرق الأنوار الإلهية بصورة إجمالية قلبه، ما يحتاج إلى تفسير وتأويل، والله سبحانه يؤيده ويمده بقوة ثانية وهی «الفتح»، بحيث يصبح بإمكانها أن تؤول متشابهات القرآن الكريم وتصل إلى السعادة الروحانية. «الفتح» يكون بمثابة وزير لـ»الجد» وفی الشريعة مقابل ميكائيل. فی الواقع يبين «الفتح» ما أبقاه «الجد» مجملا وهو فاتح لمكنونات الدين، ولكن السعادة المطلقة تحصل عندما يؤيد الخيال النفس الزكية التی يختارها الجد ويجعل الإمامة فی سلالته. يساوی «الخيال» فی الشريعة إسرافيل. (أبويعقوب السجستانی، ۱۹۸۰م: ۴۳-۴۶) بهذا يكون الخلاف واضحا إلى حد ما بين ما يعتقد به السجستانی، وما يعتقد به الفاطميون المصريون حول استمرار الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق (ع). وهو الذی كان فی بداية حياته يميل إلى جناح القرامطة، رفض رأی عبيد الله مهدی ومطالبته بالإمامة وقيامه بهذا الأمر، وإن التحق فيما بعد بإسماعيلية الفاطميين بعد أن قام معز الفاطمی بتعديلات فی آراء الفرقة الإسماعيلية واعترف به إماما سابعا وقائما وناطقا. (دفترى، ۱۳۶۹ش: ج۸، ۶۹ وما بعده)

يعتقد أبويعقوب السجستانی أن الجد، والفتح، والخيال فی ظاهر الشريعة تساوی جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، أما الجد فی موضوعات مراتب الدعوة فيعادل الرسول، والفتح يعادل الوصی والخيال يعادل الإمام، فی حين أن حسب رأی ناصر خسرو الجد يعادل الإمام، والفتح يعادل الحجة والخيال يعادل الداعی. (ناصر خسرو، ۱۳۶۳ش: ۱۵۵) ويظهر هذا الخلاف من منطلق رأی يتمسک به أبويعقوب وهو ما يجعل الجد معادلا لجبرائيل، والفتح مقابل ميكائيل، والخيال مقابل إسرافيل.

يفسر حميد الدين كرمانی وهو أبرز فلاسفة الإسماعيلية فی القرنين الرابع والخامس الهجريين والملقب بحجة العراقيين، يفسر فی كتاب «راحة العقل» العقائد الفلسفية،

وتأويلات الإسماعيليين. يعتقد كرمانى أن الإله وراء الكون. (كرمانى، ١٩٥٢م: ١٣٠-١٣٢) ولايستخدم لفظة واجب الوجود للرب، لأنه يعتقد أن الإله لايتصف بأى صفة وهو فوق الكمال والجمال، ومنه يحصل الوجود عن طريق الإبداع و»لا من شيء» وهذا الوجود هو العقل الأول (الشيء الأول) والعلة الأولى ونهاية الانتهاء وجميع الكائنات تدل على وجوده وهو يدل على وجود الله سبحانه وتعالى وينبعث منه شيئان، الشيء الأول المنبعث منه، النفس المطلقة (العقل الثانى) والشيء الثانى الذى ينشأ عنه، ثمانية عقول أولها الهيولى والصورة. (المصدر نفسه: ١٣٠-١٣٢)

يقول ناصر خسرو وهو أحد الدعاة الإسماعيليين الكبار فى القرن الخامس الهجرى حول أنواع «الوجود»: «إن الوجود على وجهين، الوجه الأول يدعى واجب الوجود والثانى ممكن الوجود.» (ناصر خسرو، ١٩٩٨م: ٣٩) ويعد العالم ممكن الوجود الذى ينبغى أن يكون قد نشأ من واجب الوجود أى العقل الموجود، ثم يطرح الوجود المطلق وهو عبارة عن أمر الرب سبحانه وتعالى: «هو أمر البارى عز اسمه وهو وجود مطلق، وجود ليس من وجود موجود.» (المصدر نفسه: ٤٠) ومن هذا المنطلق يكون البارى عز اسمه أعلى من الوجود، ورأيه فى هذا مثل رأى كرمانى.

«عندما احتفظ نسفى والرازى والسجستانى بعض الألفاظ المتعلقة بأيديولوجية الإسماعيلية الأولية، كالجد والفتح والخيال مقابل معان أخرى فى نظام الأفلاطونية المحدثة، تجاهل كرمانى تقريبا جميع الألفاظ والمفاهيم المتقدمة.» (دفترى، ١٣٦٩ش: ٦٩٥) ويعتقد أن الجد، والفتح، والخيال تعادل حسب الترتيب إسرافيل، وميكائيل، وجبرائيل.

يرى ناصر خسرو أن أصل الوجود يبدأ من «الأمر» أو «الكلمة» أو «كن»، كما يعتقد أن أول شيء ينشأ من أمر البارى تعالى هو العقل الأول أو العقل الكل. ويستفيض العقل الكامل من الأمر ويفيض بالشيء الذى يخلقه، والنفس الكاملة أو المطلقة تنبعث عن العقل الكامل أو المطلق. ويرى أن الهيولى أو الصورة تنبعث من النفس المطلقة، ويعتبر ناصر خسرو العقل المطلق بمثابة القلم والنفس المطلقة بمثابة اللوح. فى أيديولوجية ناصر خسرو، ترى أنه حتى فى العالم العلوى لابد من وجود الأزواج، وتعد ضرورية

ویری العقل المطلق هو السماء والنفس المطلقة هی الأرض وولد منها الجد والفتح والخیال.

وللرسم البیانی (المنحنی) الفلسفی لما جاء ذکره، صورة جسمانیة أو محسوسة. وتعتبر الأفلاک والنجوم فی العالم الجسمانی المحسوس، الأب والعناصر الأربعة، الأم، والأولاد هم المعادن والنباتات والحیوانات، والناس درجات حسب المستوی العلمی الدینی الذی یمتلکه ناصر خسرو، وهی فی نظام دعایته الدینیة: الناطق، والوصی، والإمام، والباب، والحجة، فی الواقع الصورة التی یرسمها ناصر خسرو من العالم الإنسانی هی مقتبسة من الرسم الهندسی للعالم العلوی ونظیره ما یعنی العالم المحسوس، بالنحو الذی یکون الناطق فی العالم الروحانی بحکم العقل المطلق، والوصی بحکم النفس المطلقة یولد منهما الأولاد الثلاثة الروحانیون، ویعرفون بألقاب الإمام والباب والحجة، وتعادل المواليد الثلاثة للعالم الروحانی، المواليد الثلاثة للعالم العلوی. (ناصر خسرو، ۱۳۵۹ش: ۱۷۲-۱۷۳) والتأیید یصل من العالم العلوی إلی العالم الروحانی عبر الأمر لإلهی.

أیدیولوجیة ناصر خسرو

تشمل أیدیولوجیة ناصر خسرو نوعا من التفکیر الأسطوری العرفانی حول الخلقة وهو نابع من النظام الفکری الذی ورثه من أسلافه. یعتقد ناصر خسرو أن الأصلین الأولین، أوجدا الأبعاد الثلاثة الروحانیة فی العالم العلوی وتسمی الجد والفتح والخیال. ودور هذه الأبعاد أو الحدود الروحانیة التی تطابق إسرافیل وميكائيل وجبرائیل «إیجاد رابطة بین العالم الروحانی والعالم الجسمانی أو المحسوس من جهة، والرب والناطق من جهة أخری. والعالم المحسوس أو السفلی خلقه الله تبارک وتعالی عبر ذلک الأصلین.» (دفتری، ۱۳۶۹ش: ۶۸۹-۶۸۸) ویذکر من هذه المصطلحات الثلاثة أشکال مختلفة:

۱ـ الأبعاد الروحانیة

یعتقد ناصر خسرو بخمسة أبعاد (حدود) جسمانیة (محسوسة) وخمسة أبعاد (حدود) روحانیة، أما الأبعاد الروحانیة فهی باقیة علی حالها ورجعة عن حالتها قط، وهذه الأبعاد الخمسة: الأول، الثانی، الجد، الفتح، الخیال. (ناصر خسرو، ۱۳۸۴ش:

١٠٩-١٠٨) القصد من الأول والثانى العقل والنفس. (المصدر نفسه: ٢١٣) ويطابق هذا الحكيم الحدود الروحانية مع ما وضع لها فى الشريعة (موضوعها فى الشريعة) والتى تربى النفس برفقة الحدود الجسمانية أو المحسوسة: «هناک عشرة أبعاد (حدود)، لتربية النفس، خمسة منها روحانية وهى القلم واللوح وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل وخمسة منها جسمانية محسوسة كالرسول والوصى والإمام والحجة والداعى.» (المصدر نفسه: ٢٠)

الأبعاد:

الروحانية: القلم، اللوح، إسرافيل، ميكائيل، جبرئيل. (الأول، الثانى، الجد، الفتح، الخيال)

الجسمانية: الرسول، الوصى، الإمام، الحجة، الداعى.

تعتبر الأبعاد الروحانية وسيطا بين النفس المطلقة والناطقة. (المصدر نفسه: ٧٦-٧٧)

٢- ثلاثة فروع روحانية

يعتبر العقل والنفس هما الأصلين الروحانيين، وبواسطتهما أنشأت الفروع الثلاثة الروحانية، وهذه الفروع الثلاثة أصبحت بدورها وسيطا لنشوء أربعة فروع أخرى: «فى عالم الدين أنشأت أربعة فروع من أمر البارى سبحانه وبواسطة العقل والنفس وبواسطة ثلاثة فروع روحانية... والفروع الأربعة: الناطق والأساس وفرعان وهما الإمام والحجة.» (المصدر نفسه: ٢١٣)

إن الأصول والفروع الروحانية لعالم الدين هى: العقل، النفس، الجد، الفتح، الخيال، الناطق، الأساس، الإمام، الحجة، يعتبر ناصر خسرو الدين هو أصل الأصول ويرى أنه فرعان وكل فرع منه «فرع أعلى منه وأصل أدنى منه.» (المصدر نفسه: ١٥٤)

أحد هذه الفروع مقتبسة من المراتب الروحانية والآخر مقتبس من مراتب الدعوة فى الدنيا. (المصدر نفسه: ١٥٥)

الدين:

العقل المطلق النفس المطلقة الجد الفتح الخيال
الرسول الوصی الإمام الحجة الداعی

يستفيض الرسول من الفروع الثلاثة الروحانية وهی الجد، الفتح والخيال، والوصی يستفيض من الفرعين الروحانيين الفتح والخيال، «ونصيبه من الجد يكون بواسطة الناطق وليس بذاته.» (المصدر نفسه، ۱۳۸۴ش: ۷۸) وأيضا (المصدر نفسه: ۱۴۶) وإن كان الإمام يستفيض من الخيال وينقل الإفاضة إلى الحجة. (ن.م) وبهذا يكون الرسول مستفيضا من مراتب الوحی الثلاثة.

۳- الأبعاد (الحدود) العلوية

يرى هذا الحكيم فی موقف آخر أن للخلقة (التكوين) ثلاثين حدا، خمسة منها علوية، ويقع العقل والنفس والجد والفتح والخيال فی هذه الحدود، والحدود الخمسة والعشرون البقية جسمانية وهی سبعة ناطقة، سبعة أساس، سبعة إمام، الباب، الحجة، الداعی، المأذون. (المصدر نفسه: ۱۶۴) ومن وظائف الحدود الجسمانية أو مراتب الدعوة، نقل العلم إلى مراتب دونية: «حجة العلم تمنح النطق للناس والطالبين، والإمام يمنح الحجة بالأمر والخيال.» (المصدر نفسه: ۱۱۶)

يعتقد الإسماعيليون أن بعد العقل المطلق والنفس المطلقة يأتی دور الملائكة الثلاث"الجد، الفتح والخيال" ويعتبرون الخمسة معا بحكم خمسة حدود علوية، كما يعتقدون أن الأنبياء والقائم، وعددهم سبعة ويطلق عليهم الناطق، هم مظهر من مظاهر العقل المطلق، ومن نوع الوصی أو أساس مظهر النفس المطلقة، ثم الأئمة يأتون فی مرتبة ما بعد الوصی أو الأساس. (ناصر خسرو، ۱۳۰۴ش: ۳۶)

۴ـ النور

يعبر ناصر خسرو عن المراتب الثلاثة الجد، الفتح والخيال بالنور. وهذه الأنوار الثلاثة متصلة بالنفس الناطقة والنوران الفتح والخيال متصلان بالأساس. (المصدر نفسه: ۱۴۸) ونور الخيال متصل بالإمام. (المصدر نفسه: ۱۴۶) وكل من هذه المراتب تستفيض من المراتب الأعلى حتى «ينشأ نور العقل والنفس عن طريق الناطق والأساس.» (المصدر نفسه: ۸۲) فی الواقع هذه الأنوار بحكم الوسيط بين النفس المطلقة والناطق والأساس

والإمام.

٥ـ الملاک

يعبر هذا الحكيم عن العقل والنفس كالأبعاد الروحانية الأخرى بالملاک، الناطق مكلف بإظهار الفوائد الروحانية للجد والفتح والخيال: «ظهر الناطق على أن أى نور يهبط من هذين الملكين، يكون فى هذا العالم الجد والفتح والخيال فى استقباله وهذه الثلاثة تسمى الهبوط الثانى.» (المصدر نفسه: ١۴۶) وهو يعتبر الملاک روحا مجردة ويضع العقل، النفس، الجد، الفتح والخيال فى ظاهر الكتاب والشريعة مقابل القلم، اللوح، إسرافيل، ميكائيل وجبرائيل. (المصدر نفسه، ١٣٨٥ش: ١٣٨)

حسب رأى ناصر خسرو إن فائدة نور الوحى تحصل عبر ثلاثة ملائكة وفق الرسم البيانى التالى:

العقل – النفس – الجد – الفتح – الخيال – الناطق(الرسول) – الأساس(الوصى) – الإمام.

(المصدر نفسه، ١٣٨۴ش: ٩۴–٣ و١۴۶) تستفيض الروح الناطقة من الحدود الروحانية الثلاثة: الجد، الفتح والخيال، ولكن روح الأساس تستفيض من الفتح والخيال، وروح الإمام تستفيض من الخيال. (المصدر نفسه: ١۴۶)

وهو يعتقد بالإمام المستور أو الغائب «فإذا ما ظهر تنتهى هذه الفترة وتقيم القيامة والجميع يجزى ويعاقب حسب عمله.» (المصدر نفسه: ۵٠) «إذا كان اهتمام النفس المطلقة بشخص يقبل إفاضة العقل المطلق كليا ويصبح سيد القوم، به تكون نهاية العالم، قسم يدعوه المسيح، وقسم آخر يدعوه المهدى وقسم يدعوه القائم.» (المصدر نفسه، ١٣۶٣ش: ١٢٢–١٢١) وعندما يقول:

إمام الزمان وارث المصطفى ربه يعينه وخلقه أهله[١]

من الحظ سيئ بالحظ متصل برحمة أفادنى من الخيال[٢]

وبتأييده أخذ العلم والزهد فى نفسى مقره آمنا[٣] (المصدر نفسه، ١٣٨٧ش: ٢۵١)

فقصد ناصر خسرو من هذا القول إمام الزمان، المستنصر بالله خليفة الفاطميين وهو

١. امام زمان وارث مصطفى — كه يزدانش يارست وخلقش عيال

٢. ز جد چون بد وجد پيوسته بود — به رحمت مرا بهره داد از خيال

٣. به تاييد او لاجرم علم وزهد — گرفته ست در جانم آرام وهال

من جاء فی مراتب الدعوة فی مرتبة الإمام معتقدا أن روحه مستفيضة من «الخيال» وتفيد هذه الروح ناصر خسرو الذی هو فی مرتبة أقل شأنا منه، علما وزهدا. (حتی يصبحوا مرتبة الإمام وهم الأولاد ووارثی الرسول الأكرم(ص).

يقول ناصر خسروه فی الأبيات التالية مستخدما الصناعات اللفظية فی إيجاد كلمات مرادفة فی المعنی كـ «المستنصر» و«الفتح»، إن نور الخيال تهيّأ حتی ينفذ أوامره ويفيضه بفائدة المعنی الحقيقی:

أفضل الزمان مستنصر عياله الإنس والجن...[1]

جوهر العقل من مقاله من وجد العلم كان[2]

الفتح اسمه فتح عظيم لامتثال أوامره تشكل الخيال[3] (المصدر نفسه: ۲۴۲)

النتيجة

نظرا لوجود أسماء مختلفة أطلق عليها ناصر خسرو لمصطلح الجد، والفتح، والخيال، نستنتج أن الأبعاد الروحانية الثلاثة، والحدود العلوية الثلاثة، والفروع الروحانية الثلاثة التی تقع فی مرتبة أعلی من العالم الجسمانی المحسوس، تتطابق الأصلين الروحانيين – منشأ تلك الأبعاد – مع مواضيعها (ما وضع فی مقابلها) فی العالم الدينی أو العالم الدونی (الجسمانی المحسوس) من حيث المعرفة. من جهة أخری فإن كلا من الأصول والفروع الروحانية الخمسة، ملائكة بمراتب التعين وبما أنها تحمل صفات الملاك ليست بالجسمانية ومتعلقة بعالم علوی. ومن ناحية فإن هذه المصطلحات الثلاثة أنوار تقتبس ضياءها من الأصلين العقل والنفس، وتنقل بدورها نور الوحی والعلم إلی العالم الدونی، والمراتب الدينية ما تكون وسيطا بين العقل والنفس من جهة، ومراتب الدعوة من جهة أخری، فی هذه الأثناء يكون خليفة الفاطميين الذی كان يعيش فی عصر ناصر خسرو، فی مرتبة الإمامة مستفيضا من نور الخيال، وينقل هذه المرتبة إلی من يأتی بعده.

---

۱. بهترين زمانه مستنصر كه عيال ويند انسی وجان ...

۲. جوهر عقل زير گفته ی اوست گر كسی يافت مر خرد را كان

۳. فتح را نام اوست فتح بزرگ به مثالش خيال بسته ميان

المصادر والمراجع

القرآن الكريم. ۱۳۸۷ش. ترجمة إلهی قشمه ای. دار نشر لقاء. ط۲. قم.

أبويعقوب السجستانی، إسحاق. ۱۹۸۰م. *الافتخار*. باهتمام مصطفی غالب. بيروت: لانا.

حسينی اجداد، سيداسماعيل. «مكانة الأمثال فی الأدب العربی». فصلية دراسات الأدب المعاصر. ربيع ۱۳۹۰ش. العدد۹. صص۲۵-۴۱.

حميدالدين كرمانی، أحمد. ۱۹۵۲م. *راحة العقل*. تحقيق ومقدمة محمد كامل حسين ومحمد مصطفی. القاهرة: دارالفكر العربی.

الخراسانی فدائی، محمد بن زين العابدين. ۱۳۷۳ش. *تاريخ الإسماعيلية*. تصحيح ألكساندر سيميونوف. تهران: دار نشر أساطير.

دفتری، فرهاد. ۱۳۸۱ش. *تمهيد مجموعة مقالات الإسماعيلية*. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.

دفتری، فرهاد. ۱۳۶۹ش. *مقالة الإسماعيلية*. موسوعة دائرة المعارف الإسلامية. مجلد ۸. تحت إشراف كاظم موسوی بجنوردی. تهران: مركز دائرة المعارف.

رشيدالدين ميبدی، أبوالفضل. ۱۳۸۲ش. *كشف الأسرار وعدة الأبرار*. مجلد ۹. تهران: نشر أميركبير.

سجادی، سيد جعفر. ۱۳۷۹ش. *معجم المصطلحات الفلسفية لملاصدرا (فرهنگ اصطلاحات فلسفی ملاصدرا)*. تهران: مؤسسة طبع ونشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامی.

سلطانی، مصطفی. ۱۳۸۱ش. *نبوت از ديدگاه اسماعيليان (النبوة ورؤية الإسماعيلية)*. مجموعة مقالات الإسماعيلية. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.

صفا، ذبيح الله. ۱۳۷۱ش. *تاريخ ادبيات در ايران (تاريخ الأدب فی إيران)*. مجلد۱. ط۱۲. طهران: لانا.

فرمانيان، مهدی. ۱۳۸۱ش. *خدا وصفات او در نگاه اسماعيليان (الإله وصفاته فی نظرة الإسماعيلية)*. مجموعة مقالات الإسماعيلية. قم: مركز أبحاث وتحقيقات الأديان والمذاهب.

فروزانفر، بديع الزمان. ۱۳۵۰ش. *سخن سخنوران*. تهران: دار نشر خوارزمی.

قاضی نعمان، نعمان بن حيون التميمی المغربی. ۱۹۶۰م. *أساس التاويل*. تحقيق ومقدمة عارف تامر. بيروت: دار الثقافة.

قرشی، سيد علی أكبر. ۱۳۸۱ش. *قاموس القرآن*. مجلد۱. قم: دار الكتب الإسلامية.

قرشی، سيد علی أكبر. ۱۳۸۱ش. *قاموس القرآن*. مجلد۵. قم: دار الكتب الإسلامية.

محقق، مهدی. ۱۳۶۳ش. *بيست گفتار در مباحث علمی وفلسفی وكلامی وفرق اسلامی (عشرون مقولة فی المباحث العلمية والفلسفية والكلامية والفرق الإسلامية)*. تهران: مؤسسة الأبحاث

الإسلامیة وجامعة مک گیل.
مولوی، جلال الدین محمد. ۱۳۶۵ش. *مثنوی معنوی*. المجلد الثالث. باهتمام رینولد الین نیکلسون. تهران: دار نشر مولی.
مهدوی، یحیی. ۱۳۴۷ش. *قصص القرآن المجید*. مقتبسة من تفسیر سور آبادی. تهران: منشورات جامعة طهران.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۸۴ش. *وجه الدین*. تهران: دار نشر أساطیر.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۰۴ش. *دیوان أشعار*. تصحیح سید نصر الله تقوی. مقدمة حسن تقی زاده ومینوی. تهران: مطبعة المجلس.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۶۳ش. *جامع الحکمتین*. باهتمام محمد معین وهنری کربین. تهران: طهوری.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۸۷ش. *دیوان أشعار*. تصحیح مجتبی مینوی ودکتر مهدی محقق. تهران: دار نشر جامعة طهران.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۸۵ش. *زاد المسافرین*. تصحیح محمد بذل الرحمن. تهران: دار نشر أساطیر.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۳۵۹ش. *خوان الإخوان*. مقدمة وتصحیح یحیی الخشاب. القاهرة: مطبعة المعهد العلمی الفرنسی للآثار الشرقیة.
ناصر خسرو قبادیانی، حکیم أبومعین. ۱۹۹۸م. *گشایش ورهایش(الفرج والخلاص)*. تصحیح والترجمة الإنجلیزیة محمد هونزایی. لندن: لانا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی